التفسير والمفسرون ببلاد شنقيط

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

الناشر
دار يوسف بن تاشفين ومكتبة الإمام مالك (رضي الله عنهما جميعاً)
مع العلم أن كل منشورات اتحاد الناشرين الموريتانيين (سابقاً) هي
الآن ملك لدار يوسف بن تاشفين ومكتبة الإمام مالك
لأمينهما العام محمد محمود ولد محمد الأمين

الجمهورية الإسلامية الموريتانية - كيفة:
تلفون: ٠٠٢٢٢/٦٣٣١٠٣٥
: ٦٨٨٣٣٩٨
: ٦٧٣٢٥٤٣
: ٦٧٥١٢٥٥

الإمارات العربية المتحدة - العين:
تلفون: ٠٠٩٧١٣/٧٦٥٧٧٤٢
فاكس: ٠٠٩٧١٣/٧٦٥٥٧٦٤
جوال: ٠٥٠/٦٧٣٥٢٩٨
جوال: ٠٥٠/٣٣٤٣٧٨٢

التفسير والمفسرون بلاد شنقيط

رسالة علمية تناولت المفسرين الشنقيطيين
وتفاسيرهم خلال ما يربو على أربعة قرون

تأليف الدكتور
محمد بن سيدي محمد مولاي
عضو هيئة الفتوى بوزارة الأوقاف - الكويت

دار يوسف بن تاشفين
مكتبة الإمام مالك

أصل هذا الكتاب رسالة علمية تقدم بها المؤلف لنيل شهادة دكتوراه الدولة من جامعة محمد الخامس ـ بالرباط. وتمت مناقشتها من طرف الأساتذة:

أ.د التمامي الراجي الهاشمي رئيساً.

أ. د ـ أحمد أبو زيد مشرفاً ومقرراً.

أ. د ـ حمداتي بن الشيخ ما العينين مناقشاً.

أ. د ـ محمد النَّصري مناقشاً.

أ. د ـ محمد الظريف مناقشاً.

وبعد المناقشة حصلت الرسالة على درجة الامتياز (حسن جداً).

بسم الله الرحمن الرحيم

تقريظ

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب وجعله هدىً للناس وبينات من الهدى والفرقان والصلاة والسلام على سيدنا محمد عبده ورسوله المؤيد بالمعجزات والبرهان وعلى آله وأصحابه أولى العلم والعرفان.

وبعد:

فقد راجعت رسالة فضيلة الشيخ الدكتور محمد بن مولاي وبذلت المستطاع في تصحيحها بالتعاون مع أحد الأخوة وهو الشيخ محمد الأمين ولد محمد سيدي (إمام مسجد).

ومن خلال قراءتي لهذه الرسالة القيمة «**التفسير والمفسرون ببلاد شنقيط**» وجدتها بحق فريدةً في بابها ولأول مرة تظهر صورة مشرقة عن الشناقطة ومدى تعلقهم بكتاب الله حفظاً ورسماً وضبطاً وتفسيراً. فقد كان في أذهان الجميع المقولة الشائعة: «القرآن نزل في جزيرة العرب، وقرأ في مصر، وكتب في تركيا، وحفظ في موريتانيا» لكن الشيخ ـ جزاه الله خيراً ـ بين أن القرآن كذلك فسر وأعرب وضبط ورسم في موريتانيا (شنقيط) فهذا البحث في غاية الأهمية ولا يخفى أنه كلف جهوداً مضنية ووقتاً طويلاً، ولكنه بدون مجاملة يحق لكل شنقيطي أن يفتخر بهذه الرسالة التي لمّعت صورة الشناقطة وبينت اهتمامهم بكتاب الله رغم أنهم كانوا في بيئة صعبة

يتدارسون كتاب الله في جامعاتهم المتنقلة على ظهور العيس يؤلفون الكتب النادرة كما قال العلامة تاج العلماء شيخ الشيوخ المختار بن بونة الجكني:

قد اتخذنا ظهور العيس مدرسة بها نبين دين الله تبيانا

ومن هنا فإني أزف البشارة لكل الشنقيطيين بمناسبة طباعة هذا الكتاب الذي هو رسالة جامعية في الأصل ونتقدم بالشكر الجزيل إلى فضيلة الشيخ الدكتور على ما قام به من عمل رائع في سبيل إنجاز هذا المجهود الكبير ونرجو الله تعالى أن يوفقنا وإياه وأن يجعل كل أعمالنا خالصة لوجهه تعالى، ومرة أخرى أشكر كل من يساهم في إحياء تراث الشناقطة فعلى طلاب العلم أن يقتنوا هذه الرسالة ويحالوا تحقيق بعض تلك الكتب التي وردت ضمنها في قائمة طويلة.

وفقنا الله جميعاً لخدمة كتاب الله والسير على منهجه وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

كتبه:

أ. محمد ولد محمد ولد سيدي الأمين

إمام مسجد في أبو ظبي

تاريخ: ٢٠٠٧/٨/٦م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، والصلاة والسلام على محمد البشير النذير، الذي اصطفاه الله من خلقه لحمل رسالته، فبلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وكشف الغمة، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابته الأكرمين، والتابعين، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فقد أظهر القرآن الكريم فجراً جديداً، ودعوة جديدة، أشرقت شمسها على مشارق الأرض ومغاربها، ففتحت أعيناً عمياً، وقلوباً غلفاً، وآذاناً صماً، فتكونت في الشرق والغرب جماعات من المؤمنين بهذا القرآن، وأخذت دورها في نشر رسالة العلم والمعرفة، وبعث الحضارة الإنسانية، وجاب الإسلام أرض المشرق وبزغ فجره في المغرب وامتد نوره إلى الصحراء الكبرى ومنها (بلاد شنقيط) التي هي امتداد للدولة الإسلامية، وقد عبر الإسلام من خلالها إلى إفريقيا الغربية.

هذه البلاد المترامية الأطراف، استجاب أهلها للإسلام طواعية وتحملوا نشره إلى الآفاق، فجابوا مجاهيل إفريقيا الواسعة وبذلوا كل غال ونفيس في تعلم العلوم النافعة وتعليمها.

وإن تصميم جمهور الشنقيطيين على تحصيل العلم جعل منهم طاقة

هائلة أنجبت أفذاذ العلماء وأساتذة المعرفة الذين نبغوا في مختلف العلوم العربية الإسلامية، هذا ومن الطبيعي أن يهتم العلماء الشنقيطيون بالقرآن الكريم ويعتنوا به عناية فائقة، إذ هو دستورهم، وقانون حياتهم، ومفتاح علومهم ودراساتهم، لهذا اتجهوا إليه يحفظون نصه، ويقرؤون العلوم المتعلقة به، من تجويد، ورسم، وإعراب، وتفسير، وغير ذلك، فكان لهم في هذا الميدان جهد كبير، لا يعلم الناس عنه إلا قليلاً، بل إن بعض المشتغلين بالدراسات الإسلامية لا يعرف عنه شيئاً.

ومن هنا وقع اختياري على موضوع «**التفسير والمفسرون ببلاد شنقيط**» ليكون موضوعاً لأطروحتي للدكتوراه.

ويمكن تلخيص أهم أسباب هذا الاختيار في النقاط التالية:

١ ـ خدمة علم التفسير، الذي هو مفتاح الكنوز والذخائر التي احتواها القرآن الكريم، وتتمثل هذه الخدمة في إبراز الجهود التي بذلت فيه في هذه الربوع، والعمل على تنقيتها وتقويمها.

٢ ـ الإسهام في دراسة جزء من التراث الإسلامي الشنقيطي، المعرض للضياع، والمهدد بالاندثار، فالتفسير في بلاد شنقيط لم يحظ بأي عناية من الدارسين والباحثين وهو من أهم التراث العلمي الذي يستحق العناية والصيانة.

٣ ـ ومنها أن التفسير في هذه الربوع يحتاج إلى دراسات تبين مناهجه واتجاهاته، لهذا أردت أن أبين بعضاً من مناهج تفسير الشنقيطيين واتجهاتهم، وإسهاماتهم، وجهودهم التي قدموا في هذا العلم، وهي جهود تذكر فتشكر، وهذا ربما يدفع الكثيرين من طلاب العلم في هذه البلاد إلى العودة لمصادرهم الأصلية، ومنابعهم الفياضة.

هذه هي أبرز الأسباب، وأما الصعوبات التي واجهتني فيه فهي متعددة ومن أهمها:

١ ـ أن البحث يعتمد في مادته على مخطوطات متوزعة على مكتبات

شخصية، والقليل منها يوجد في مكتبات رسمية، والحصول على هذه المخطوطات يعتبر من الصعوبة بمكان، أما المكتبات الرسمية فلديها طرق معقدة للحصول على صورة من المخطوط، وهذه الطرق قد تكون عائقاً دون المراد، والعذر لهؤلاء، هو حرصهم على حماية هذه المخطوطات التي ضاع أكثرها في ظروف غامضة.

أما المخطوطات الشخصية فإن حرص أصحابها عليها أشد، وشروطهم أقسى ومع ذلك فبعضهم يضحي تضحية كبيرة للباحثين ويعطيهم من جهده ووقته ما يمكنهم من بغيتهم، ومن هؤلاء الأستاذ الراجل بن أحمد سالم جزاه الله خيراً.

٢ ـ أن جل نصوص التفسير التي أبحث فيها مخطوطة ولم تتناولها أيادي الباحثين بالتحقيق والتمحيص والدراسة، فتطلب مني هذا العمل تحقيق أي نص أريد الاستشهاد به، والبحث في مضمونه، فكان هذا العمل: تأليفاً، وتحقيقاً.

٣ ـ ومن الصعوبات التي أذكر هنا أن التفسير ببلاد شنقيط لم يكتب عنه إلا القليل جداً، وجل ما كتب عنه لا سبيل إلى الحصول عليه إلا بالسفر إلى بلاد بعيدة مثل السعودية، التي أنجزت فيها بحوث تتعلق بتفسير محمد الأمين الشنقيطي، لهذا سافرت إليها وحصلت على بعض البحوث التي أنجزت فيها، وتكلفت في ذلك السفر مشقة عظيمة.

٤ ـ عند محاولة الترجمة للمفسرين الشنقيطيين واجهتني صعوبة كبرى وهي:

أن جل هؤلاء لم يترجم لهم من قبل، ومن وجدت له ترجمة منهم فهي غير كافية على الإطلاق، لهذا تحملت عناء البحث عن هؤلاء أبحث عن أحوالهم وتواريخ وفياتهم والمعلومات الأخرى التي تتطلبها الترجمة لهم.

الدراسات السابقة: لم تحظ الثقافة عموماً في بلاد شنقيط بأي عناية من الباحثين والدارسين العرب، ويرجع ذلك بالدرجة الأولى إلى بعد هذه

البلاد عن الحواضر الإسلامية، وعدم اهتمام أهلها بالتدوين، ومن هذه الثقافة المهملة التفسير، فالمعاجم التي وضعت لحصر المفسرين أهملت الشناقطة إهمالاً كاملاً وكمثال على ذلك ما يلي:

(أ) المعجم الذي وضعه عادل نويهض اللبناني والذي ألف سنة ١٩٧٥ ونشرته مؤسسة نويهض للثقافة والترجمة والنشر عام ١٤٠٣هـ وذكر فيه ألفي (٢٠٠٠) ترجمة للمفسرين على مر التاريخ الإسلامي لم يذكر من الشناقطة إلا شخصاً، أو شخصين، جاوزت شهرتهما الإطار الإقليمي.

(ب) معجم تفاسير القرآن الذي نشرته المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة «إيسسكو» بتاريخ ١٤١٧هـ وهو تأليف لمجموعة من المؤلفين ذكروا فيه ٩٠ مؤلفاً مفسراً مطبوعاً و٧٩ مفسراً مخطوطاً، ولم يذكروا من الشناقطة ـ حسب ما اطلعت عليه ـ إلا الشيخ محمد الأمين الشنقيطي.

(ج) معجم مصنفات القرآن الكريم للدكتور علي شواخ إسحاق وهو ثلاث مجلّدات، لم يتطرق إلى إنتاج الشنقيطيين، وهكذا كل المعاجم الأخرى.

ولما عرض الشيخ محمد بن إبراهيم الكتاني على الزركلي أن يستفيد من كتاب فتح الشكور الذي ترجم لكثير من علماء شنقيط قال الزركلي معرضاً: ذاك عالم لا نكاد نعرف عنه شيئاً[١].

وقد وضعت دراسات يسيرة من بعض الباحثين المعاصرين على المفسرين الشنقيطيين وجلها يتعلق بأضواء البيان، فمن هذه الدراسات:

١ ـ الشنقيطي ومنهجه في التفسير: لمؤلفته: سميرة بنت صقر آل محمد كلية البنات بجدة حصلت به على الماجستير.

٢ ـ منهج الشنقيطي في تفسير آيات الأحكام ـ عبدالرحمن بن عبدالعزيز السديس، جامعة أم القرى، مكة المكرمة عام ١٤١٠هـ.

---

(١) مقدمة فتح الشكور ص٦.

٣ ـ الشيخ الشنقيطي وتفسيره أضواء البيان: فرمان إسماعيل إبراهيم د/ الدولة، جامعة بغداد، عام ١٩٩٦م، اللغة العربية.

٤ ـ تحقيقات الشنقيطي الدلالية في أضواء البيان: يعقوب حسن عبد المشهداني، كلية التربية، الموصل عام ١٤٢٠هـ، ماجستير اللغة العربية.

٥ ـ جهود الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف: الدكتور عبدالعزيز بن صالح، الجامعة الإسلامية، نشر عام ١٤١٩هـ. قسم العقيدة.

٦ ـ تطور منهج التفسير في موريتانيا من خلال أضواء البيان. عبدالله بن أحمد عبيد ١٤٢٠هـ، جامعة تونس.

٧ ـ تحقيق الجزء الأول من «مراقي الأواه» لأحمدو بن أحمذيَّ المحقق: أحمد بن أباه. جامعة محمد الخامس عام ١٤٢٠هـ.

٨ ـ توجد رسائل في المؤسسات العلمية تخرّج بها بعض الطلاب من المعهد العالي للدراسات الإسلامية، ومن جامعة نواكشوط.

تعرضت هذه الرسائل لمجموعة من المفسرين وتفاسيرهم مثل: «تفسير الريان»، للعلامة أحمد بن محمد سالم، و«الذهب الإبريز» للعلامة محمد اليدالي وغيرهما، وهذه الدراسة جزئية وبسيطة ولكنها لا تخلو من أهمية.

المنهجية التي اتبعتها: وقد سلكت في هذا العمل منهجين:

* **منهج تاريخي وصفي**: ذلك أن الدراسة تتناول فترة تاريخية محددة في رقعة ترابية معينة وتتناول تفاسير متلاحقة.

* **منهج تحليلي**: يقوم على التحقيق والمناقشة والتعليق والنقد.

أما المصادر التي اعتمدت عليها في كتابة هذا البحث فهي:

١ ـ مصادر أصلية: وهي تفاسير الشناقطة من القرن الثاني عشر حتى الوقت الحاضر، وقد استفدت من هذه المصادر المخطوطة في معظمها، بعد استخراج نصوصها، وتحقيقها، وإصلاح ما فيها من أخطاء الناسخين، وذلك بالاعتماد على أصح النسخ، وأصول هذه المخطوطات.

٢ ـ كتب التفسير وعلوم القرآن والحديث والفقه.

٣ ـ مراجع عامة.

٤ ـ دراسات حديثة.

وسوف أثبت هذه المصادر والمراجع في فهرس خاص بها في نهاية هذا العمل.

وقد اقتضت طبيعة البحث في هذا الموضوع تقسيمه إلى الخطة الآتية:

● **مقدمة**: وهي هذه.

● **تمهيد**: سلطت فيه الضوء على الأمور المتعلقة بالتفسير، سواء تعلق الأمر بتهيب الشنقيطيين من التفسير وسلفهم من الأمة الإسلامية في ذلك، أو تعلق بمرجعيتهم في التفسير، وغير ذلك.

* الباب الأول: الحياة الثقافية في بلاد شنقيط *

وهو مشتمل على الفصول الآتية:

الفصل الأول: نشأة المحاضر وتطورها في بلاد شنقيط.

الفصل الثاني: المدارس الفكرية الشنقيطية وأثرها في الحركة العلمية بهذه البلاد.

الفصل الثالث: مقارنة المحاضر الشنقيطية بغيرها من المدارس.

* الباب الثاني: دراسة التفسير في بلاد شنقيط *

الفصل الأول: نشأة التفسير في بلاد شنقيط.

الفصل الثاني: خصائص التفسير في بلاد شنقيط وتحته مباحث.

الفصل الثالث: أغراض التأليف في التفسير في بلاد شنقيط.

الفصل الرابع: قيمته العلمية.

الفصل الخامس: مراجعه.

*** الباب الثالث: اتجاهات التفسير في بلاد شنقيط ***

الفصل الأول: الاتجاه الأثري.

الفصل الثاني: الاتجاه اللغوي.

الفصل الثالث: الاتجاه الفقهي.

الفصل الرابع: الاتجاه الصوفي.

*** الباب الرابع: المفسرون وتفاسيرهم من القرن ١٢ إلى نهاية القرن ١٤هـ ***

الفصل الأول: التفسير في القرن ١٢هـ.

الفصل الثاني: التفسير في القرن ١٣هـ.

الفصل الثالث: التفسير في القرن ١٤هـ.

*** الباب الخامس: التفسير في الوقت الحاضر ***

الفصل الأول: المؤلفون ومؤلفاتهم في الوقت الحاضر.

الفصل الثاني: المجالس العلمية.

الفصل الثالث: المعاهد والمدارس الشرعية.

الفصل الرابع: مقارنة بين واقع التفسير وماضيه.

- **خاتمة بنتائج البحث**

- **ملاحق:**

* ملحق: بمؤلفات الشنقيطيين في علوم القرآن.

* ملحق: بصور من كتب التفسير الشنقيطية موضع الدراسة.

* ملحق: بخريطة تبين الفرق بين موريتانيا السياسية والثقافية (بلاد شنقيط).

* وفي الختام:

فإنني أتقدم بجزيل الشكر وعظيم التقدير والامتنان، لأستاذي الفاضل العالم المتواضع الأديب الكريم فضيلة الدكتور أحمد أبو زيد حفظه الله تعالى، الذي تقبل الإشراف على هذه الرسالة والذي كان له الفضل بعد الله تعالى في إخراجها إلى حيّز الوجود، حيث أمدني بتوجيهاته المفيدة، وإرشاداته القيمة السديدة التي أضاءت لي الطريق كما أشكر جميع القائمين على الدراسات العليا بكلية الآداب بجامعة محمد الخامس بالرباط.

وأخص بالذكر تلك الكوكبة العلمية المضيئة التي تتصدر مسيرة العلم والأخلاق بهذه المؤسسة العظيمة.

كما أشكر من ساعدني من قريب أو بعيد في إنجاز هذا البحث، سائلاً المولى جلت قدرته أن يرزقني وإياهم السداد والتوفيق في القول والعمل إنه ولي ذلك والقادر عليه.

محمد بن سيدي محمد مولاي

التمهيد

لقد رأيت من الضروري أن يتصدر هذه الدراسة المتعلقة بالتفسير والمفسرين ببلاد شنقيط تمهيد يلقي ظلالاً على هذا العمل، ويشرح بعض الأمور المنهجية المهمة التي لا يمكن شرحها وتوضيحها في المقدمة وذلك في النقاط التالية:

⇦ النقطة الأولى:

لقد أشرت في مقدمة هذا البحث قبل قليل، إلى أن ثقافة شنقيط مجهولة لدى الأوساط العلمية في العالم الإسلامي. فالكثيرون لا يعرفون عنها شيئاً يذكر ومن له معرفة بسيطة بها يتصور معارفها خاصة بالشعر، والنحو، والفقه، والأصول، والمنطق... وأن التفسير والحديث لا وجود لهما في هذه الثقافة على الإطلاق، ومما يؤكد هذا هو أنني عندما أخذت «التفسير والمفسرون» ببلاد شنقيط موضوعاً لأطروحتي لنيل شهادة الدكتوراه، استغرب البعض ذلك متسائلاً: هل يوجد مفسرون شنقيطيون غير الشيخ محمد الأمين الشنقيطي صاحب أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن؟!.

وهذا يدل على أن دراسة الجوانب المتعلقة بالتفسير في هذه البلاد تعتبر عملاً في غاية الأهمية وتسد فراغاً كبيراً في الثقافة الشنقيطية وفي الثقافة الإسلامية بشكل عام، ومن هنا حاولت التركيز على الدراسة الوصفية أكثر والاعتماد على إيراد النماذج من المؤلفات والإكثار من الأمثلة والتعرض

في بعض الأحيان لجوانب أخرى من جوانب المترجم لهم غير الجانب المتعلق بالتفسير الذي هو موضوع هذه الدراسة.

وإنما ركزت على هذه الناحية لأنها في نظري هي التي ستساعد على التعريف بهذا التراث والوقوف على حقيقته، وتعطي صورة ناصعة عن هؤلاء المفسرين، وهذا لا يعني أنني أهملت نهائياً جانب التحليل والتعليق والمناقشة والمقارنة؛ بل أتيت ببعض ذلك في مناسبات كثيرة حسبما يقتضيه المقام.

وأذكر هنا بأنني أثناء جمعي للمادة العلمية أكثرت من جمع النصوص والتعليقات حتى إذا ما شرعت في تأليف البحث أدركت أنني جاوزت الحد في ذلك، فحذفت ما رأيته يؤدي إلى الإطناب الممل، مما لا طائل تحته فخير الأمور أوسطها، ومن شروط بلاغة الكلام مطابقته لمقتضى الحال، كما هو معروف.

ثانياً: دراسة نشأة التفسير وتطوره:

قمت بدراسة شاملة لحركة التفسير في هذه البلاد وبدأت هذه الدراسة من المرحلة التي خلت من التدوين متلمساً ما أجده من المعلومات أو القرائن التي تساعد على معرفة وجود هذا العلم أو عدم وجوده، والواقع أنني في هذه المرحلة كانت تتجاذبني وجهتان:

إحداهما: أن التفسير لا يمكن أن يكون معدوماً في الدرس المحضري لغاية القرن ١١هـ وذلك للأمور التالية:

أولاً: ارتباط هذه البلاد بالإسلام والدعوة إليه منذ القدم فهي أرض المرابطين الفاتحين التي انطلقوا منها.

ثانياً: تحمس أهلها للعلم ورغبتهم فيه واشتغالهم به منذ القدم، فقد حدثنا التاريخ عن شخصياتهم العلمية والدعوية واتصالهم برجال العلم وأقطاب المعرفة في العواصم الإسلامية، فقصة مجيء المعلم الأول عبدالله بن ياسين الشهيرة تدل على رغبتهم الأكيدة في العلم وحرصهم على تحصيله

وثبت أن أحمد بن محمد أقيت بن عمر الصنهاجي جد أحمد باب التينبكتي الشهير صاحب «نيل الابتهاج» حج سنة ٨٩٠هـ ولقي بمصر الحافظ السيوطي والشيخ خالداً الأزهري، وغير ذلك.

ثالثاً: والرسالة التي أرسلها رجل آخر من المرابطين للإمام السيوطي صرخة مدوية يشكو فيها من نفور الناس من التفسير دليل على أنه ينطلق من قوة تحاول بث التفسير في الأوساط العلمية وإقناع العامة به. تعرضت لهذه الوجهة بشيء من التفصيل في الكلام على نشأة التفسير وتطوره ولكن هذه الافتراضات إنما هي احتمالات لا حقائق تعتمد على الأدلة والشواهد المؤدية للقطع أو الظن الراجح.

الوجهة الثانية: هي أن التفسير لم يظهر حقيقة إلا في القرن ١١هـ حيث ظهر علماء يدافعون عن التفسير، ويقنعون المتعصبين من أهل المذاهب المتشبثين بمقولات تمنع التفسير بوجوب العناية بتفسير كتاب الله.

لهذا فالروايات صريحة بأن مفتي شنقيط عندما حاول أن يفسر القرآن بادر أنداده بالنكير عليه، فلو كان درس التفسير أصبح من مكونات الثقافة المحضرية لما كان لنكيرهم عليه معنى ولما أنكروا عليه أصلاً، ومقدمة اليدالي مليئة بالتخوف من المعارضين وفيها ردود على هؤلاء المنكرين المفترضين.

ثم إن من المعروف أن الثقافة الشنقيطية متأثرة تمام التأثر بالمغرب، والمغرب في هذه الفترة كانت تعيش نفس الظروف التي تكاد تحرم التفسير كما سأبين ذلك فيما بعد.

صحيح أن إنكار بعض الناس للتفسير لا يعني عدم وجوده أصلاً وإنما يدل على أن هذا البعض لا يقبله ولا يعمل به، وهو أمر ما زال قائماً لحد الساعة في بعض الأوساط، كما أن له جذوراً في التاريخ البعيد، لكنني في النهاية ملت إلى الوجهة الأولى التي ترجح أن التفسير كان موجوداً وأن تلك الشكاوى التي تصدر من بعض أهل العلم من إعراض الناس عن التفسير تدل على أن بعض الناس يقف من التفسير موقفاً سلبياً رافضاً بسبب

التعصب المذهبي والجهل، ولكنها لا تدل على أن التفسير ليس موجوداً على الإطلاق.

فمن الممكن أن تكون هناك مدارس في التفسير قد اندثرت ولم يبق لها أثر كما ضاعت معارف جمة تحدث أهل العلم عنها ودلت عليها قرائن كثيرة وهذا الغموض سببه عدم العثور على وثائق تاريخية تتحدث عن حالة هذه البلاد الثقافية في الفترة ما بين انفصال الجنوب عن الشمال أي بعد سقوط دولة المرابطين وقيام دولة الموحدين.

والظاهر أن انحرافاً ثقافياً كبيراً حصل بعد هذه الفترة كما يظهر من رسالة اللمتوني إلى السيوطي والتي يقول فيها:

إن الفقهاء في تلك البلاد، عادتهم ترك القرآن والسنة... الخ[١].

ولا يفوتنا هنا أن نذكر بأن عناية علماء المغرب بهذه البلاد كانت كبيرة ومتواصلة فقد دأبوا على تجشم الصعاب والتنقل إلى هذه البلاد النائية بغية نشر العلوم الإسلامية والمحافظة على القيم الفاضلة بها فمن العلماء البارزين الذين قدموا على هذه المنطقة ودرسوا فيها علوم الدين:

١ ـ نور الدين أبو الحسين علي بن أحمد بن محمد بن عبدالله الأنصاري العالم النحوي (ت) عام ٧٢٤هـ. رحل من المغرب إلى بلاد التكرور (بلاد شنقيط) وأقرأ فيها القرآن ثم قدم على القاهرة وأخذ عنه العربية جماعة منهم جمال الدين الإسنوي[٢].

٢ ـ عبدالله بن أحمد بن سعيد بن يحيى بن معاوية الزموري العالم المؤرخ الأديب شارح كتاب الشفا رحل إلى مدينة ولاته واستقر بها ودرس العلوم الشرعية وكان حياً في عام ٨٨٨هـ[٣].

---

(١) الحاوي على الفتاوي للسيوطي ج١ ص٢٨٨ ط دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٢هـ.

(٢) فتح الشكور ص١٩٦.

(٣) السلفية وأعلامها في موريتانيا ص٢٢٧.

٣ ـ مولاي أحمد الذهبي الشريف التلمساني الفقيه رحل إلى مدينة شنقيط وأقام بها مدة يدرس علوم الدين وهو أول من درس مختصر خليل بن إسحاق في شنقيط وكان حياً في نهاية القرن ١٠هـ[١] ثم رجع إلى مراكش التي قدم منها أصلاً وتوفي بها.

٤ ـ الشاب الشاطر وهو شريف من أهل فاس ذكره البارتيلي في فتح الشكور باسم الشريف الشاب وقال إنه كان حياً سنة ١٠٤٥هـ وأشاد بعلمه[٢].

وعلماء كثيرون اقتصرنا على هذا القدر منهم وذكرناه على سبيل المثال فقط.

لهذا لا نستغرب بعد ذلك شدة التشابه بين الثقافة المغربية والشنقيطية بل والتماثل بينهما في أحيان كثيرة، وقد أشرت إلى هذا الجانب في رسالتي لنيل شهادة دبلوم الدراسات العليا من جامعة محمد الخامس[٣] ومن ضمن ذلك أن جميع أسانيد الشنقيطيين في القرآن ترجع إلى علماء المغرب، وأن جميع المراجع التي يعتمدون عليها في التجويد مغربية أو جاءت بواسطتهم، ويضاف إلى ما سبق أن بلاد شنقيط اعتمدت في نهضتها الثقافية على المكتبة الأندلسية في التفسير، والقرآن، والحديث، واللغة، وغير ذلك، مثل كتب: ابن عطية، وابن العربي، والقرطبي، وابن جزي، والداني والشاطبي وابن مالك وأبي حيان.

وكل هذه الكتب إنما وصلتهم بواسطة علماء المغرب يقول الدكتور محمد المختار بن اباه موضحاً هذا المعنى: إن حركة الثقافة في بلاد شنقيط انطبعت أساساً بطابع أندلسي مغربي، ويستعرض كدليل على ذلك المصنفات المتداولة[٤]. وسرد بعضها.

---

(١) بلاد شنقيط النحوي ص٧٣ وص٩٨.
(٢) فتح الشكور ص٢١٢.
(٣) المقبول النافع على الدرر اللوامع ص٧٥ (مرقونة).
(٤) بلاد شنقيط المنارة والرباط ص٢٠٤.

ثالثاً:

هذه الدراسة تناولت التفسير ورجاله في بلاد شنقيط خلال ما يزيد على ثلاثة قرون من الزمن وذلك في أربع مراحل هي كالتالي:

١ ـ التفسير في القرن الثاني عشر للهجرة ولم نعثر فيه على تفسير لأحد علماء شنقيط غير الذهب الإبريز للشيخ محمد اليدالي وبما أنه أقدم أثر تفسيري عثرت عليه فقد تناولته بالدراسة والتحليل ما أمكن.

٢ ـ التفسير في القرن الثالث عشر للهجرة وعثرت فيه على مجموعة من المفسرين تبلغ أحد عشر مفسراً فحاولت إعطاء صورة كاملة عما وجدت منها بيد أنني ركزت أساساً على تفسير الريان، لأنه أكبر هذه التفاسير على الإطلاق ولأنه تميز بميزات في المنهج والطريقة فأعطيته عناية خاصة وترجمت لبعض الشخصيات المشتهرة بالتفسير بغض النظر عن عثوري على كتبها أو عدم عثوري عليها.

٣ ـ المرحلة الثالثة التفسير في القرن الرابع عشر ويعتبر في نظري هو أهم مرحلة للتفسير من عدة نواح.

أولاً: لأن مؤلفات التفسير فيه وصلت إلينا بكمية كبيرة.

ثانياً: لأن أغراضاً كثيرة دخلت في تفسير هذا العصر ولم نعثر لها على وجود في العصور السابقة وذلك كالتفسير البياني في حاشية البشير بن امباريقي. والتفسير الأثري في كتاب عبدالودود بن حميّة، «التنوير في علم التفسير وتفسير» آيات الأحكام عند اليونسي؛ «التيسير والتسهيل لمعرفة أحكام التنزيل»، وككتاب الشيخ محمد الأمين الشنقيطي (دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب)، وغير ذلك.

ثالثاً: لأن المشتهرين بالتفسير في هذا العصر أكثر من المشتهرين به في العصور السابقة بكثير. لهذا لم نَلْتَزِمْ الترجمة لأي شخصية اشتهرت بالتفسير إلا إذا كان إنتاجها في التفسير موجوداً معروفاً، سواء أخذنا منه نماذج أم لم نأخذها منه لأننا لو التزمنا بذلك لما استطعنا الوفاء به. وقد